

الوعي بفلسطين إذ حملته ثلاث نسوة إلى امرأة اكتشفت يهوديتها؟

Michele Manceaux.
Histoire Un Adjectif.
(قصة نعت).
Stock, Paris.
2003.
300 pages.

كان الكاتب الروسي اليهودي إسحق بائبل (١٨٩٤-١٩٤٦)، الذي عاصر الثورة البلشفية، قال: لو كان لي أن اكتب سيرتي الذاتية لجعلت عنوانها: قصة

نعت..

هذا الباطض ما فعلته ميشيل مانصو في هذه السيرة الذاتية التي كتبتها ولم يعد امامها من مستقبلٍ آخر سوى انتحار الموت، بعد أن أصدرت خلال الأربعين سنة الفاشئة أكثر من عشرين رواية وعملاً أدبياً. لم «قصة نعت» لأن النعت قد يختصر كل

الهوية عندما يكون المرء، كما في حال ميشيل مانصو، يهودياً تاخر طويلاً في اكتشاف

يهوديته وفي إعلانها.

«أنا الآن يهودية»، هذا ما كانت أعلنته صاحبة «النعت» على صفحات جريدة

«لوموند» الفرنسية في مقال نشرته في ٢١ آب (أغسطس) ٢٠٠١ وتسبق في انهيال بعد هائل من الرواد ومن... الشائعات والتهديدات.

لماذا الآن يهودية، بعد ما كانت أعلنته بيهوديتها، بعد طول سكوت عنها، إلا لتجهر في الوقت نفسه بإدانتها لاضطهاد إسرائيل للفلسطينيين من دون أن يكون في مستطاع احد، من أنصار الدولة العبرية في الأوساط الثقافية والإعلامية الفرنسية، أن يرميها بتهمة اللاسامية.

وبالفعل، كانت صاحبة «النعت» قد نصت في اواسط الخلافيات الماضية من اب ولدت كاثوليكي ونصف بروتستانتي ومن أم يهودية

اشكازية. لكن ظروف الإجتياح النازي لفرنسا حملت الأم على اخفاء هويتها وهوية ابنتها، واوهمتها واوهمت جوارها في الريف الفرنسي الجنوبي بانها «مسيحية»، وأخضعتها لكل الطقوس الدينية الكاثوليكية من معمودية ومناولة أولى وتعليم ديني.

لكن صاحبة «النعت» التي كفت على هذا

النحو عن أن تكون «يهودية»، لم تصر قط «مسيحية». فقد بقيت على امتداد السنوات التي كتخت فيها بين ١٩٦٢ و٢٠٠١ بلا هوية دينية. وكان انتماؤها الوحيد إلى حركة الطلاب اليساريين في ١٩٦٨، ثم إلى حركات التحرر الوطني والنسوي في افريقيا وفي أميركا اللاتينية. وإلى حركة تحرر السود في الولايات المتحدة. وكانت على امتداد تلك السنوات وكأنها تهرب من ذاتها ومن هويتها القلقة ومن ميولها إلى الانتحار والانهيار النفسي. ولم تحرك فيها لا حرب ١٩٦٧ ولا حرب ١٩٧٣ ساكناً. وحسباً عندما زارت إسرائيل عام ١٩٧٨، فإن القضية الفلسطينية ظلت غائبة عن وعيها، كما ظل غائباً معها الشعور بالضمأن مع إسرائيل. وكان عليها أن تنتظر حتى ١٩٩٧ لتكتشف أن الالتزام الوحيد الذي يمكن أن يعطي معنى لحياتها ويحدد علامة الاستفهام حول هويتها هو الالتزام بتسوية سياسية تحفظ لإسرائيليين حقهم في الوجود الأمن وللفلسطينيين حقهم في دولة مستقلة. وقد جاء اكتشافها هذا عبر صداقتها التي شاعت الصدفه أن تتعقد بينها وبين ليلى شهيد، ممثلة «السلطة الفلسطينية» في فرنسا. فقد اتقتها في ١٩٩٧ لتجري معها مقابلة لحساب إحدى الأسبوعيات الفرنسية. ومن خلال النقائش بهذه المرأة أدركت أنها – على حد تعبيرها – «التقت بشعب». وفجأة دلت لها «وكان «البغعة السوداء» التي تغطي خريطة وعيها قد تلونت وأضاعت.

المقابلة التي كان يفترض بها أن تدوم ساعة استغرقت نصف يوم بتمامه. وفي

نهايتها كف الفلسطينيون في وعي ميشيل مانصو عن أن يكونوا كلمة مجردة ليغدوا شيئاً، بل لحم ودم، لا تقبل عذاباتهم، المستمرة منذ أكثر من نصف قرن، مقارنة لإلا مع عذابات يهود الشتات.

فالفلسطينيون قد جرى تصويرهم – تقول ليلى شهيد – وكأنهم كانوا ولا يزالون جماعات من البدو الرحل. هذه الصورة «الاستشراقية» بتناها رواد الدولة العبرية ليعطوا المصادقة للشعاع الصهيوني القائل: «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض».

وهكذا فإن أرسنافات أجهزة إعلام الدولة العبرية لم تحسّط للإبصور البدو من الفلسطينين الذين جرى ترحيلهم عام ١٩٤٨، «مع جمالهم»، نحو الشمال. بينما أسدل جدار من الصمت ومن العنصرية على صور بورجوازية المدن الفلسطينية، في حيفا ويافا ونابلس والقدس، وحذّف من التاريخ دور الوجود الأمن للفلسطينيين حقهم في دولة مستقلة. وقد جاء اكتشافها هذا عبر صداقتها التي شاعت الصدفه أن تتعقد بينها وبين ليلى شهيد، ممثلة «السلطة الفلسطينية» في فرنسا. فقد اتقتها في ١٩٩٧ لتجري معها مقابلة لحساب إحدى الأسبوعيات الفرنسية. ومن خلال النقائش بهذه المرأة أدركت أنها – على حد تعبيرها – «التقت بشعب». وفجأة دلت لها «وكان «البغعة السوداء» التي تغطي خريطة وعيها قد تلونت وأضاعت.

المقابلة التي كان يفترض بها أن تدوم ساعة استغرقت نصف يوم بتمامه. وفي

سوى جمال الحسيني الذي كان في حينه ممثل فلسطين في منظمة الأمم المتحدة. وقد رفض قرار التقسم لعام ١٩٤٧ ليس فقط لأنه اعطى اليهود ٥٦ في المئة من أراضي فلسطين، في حين أنهم ما كانوا يستحقون سوى ٦ في المئة منها. بل لأنه كان يستحيل عليه أن يقبل بفكرة دولة يهودية خالصة. وهو العلماني النزعة. وقد كان في رده على مشرعو دولة يهودية يتعاضد فيها اليهود والمسلمون والنصارى ويحترم كل منهم ديانة الآخر في إطار دولة علمانية».

ولئن اكتشفت من خلال شخص ليلى شهيد وجود قضية فلسطينية وشعب فلسطيني، فقد اكتشفت، من خلال نص الموقف الذي يمكن أن تتقفه «يهودية» مثلها من إسرائيل كدولة «يهودية». والنص هو للكاتبة الفرنسية الراحلة قبل الأوان أنيتا فرانكوس في كتابها «الفلسطينيون» الصادر عام ١٩٦٩.

فهذه المنقشة الفرنسية قضايا المستعمرين ضد المستعمرهم في الجزائر وافريقيا الجنوبية والشرق الأوسط. ولئن يكن معظم أفراد أسرتها قد ذُهِبوا ضحية الشوراة النازية (المحرقة)، فإنها لم تقتنع قط بضروة وجود دولة يهودية. أولاً، لأن اليهودية كانت في نظرها ديناً، لا قومية، وثانياً، لأنها كانت تؤمن بأن دولة إسرائيل لن تلبث، لا أن تحل مشاكل اليهود في العالم، بل أن تصيف إلى مشاكلهم مشكلة. ورغم مصيبة فالصهيونية هي، في التحليل الأخير، نزعة قومية استوربية تحولت مع قيام دولة إسرائيل إلى نزعة كلبية (سينيكية) سياسية. ومنظها مثل اللاسامية التي أرادت نفسها رداً عليها،

منظمة «القاعدة» بوصفها وجهاً آخر للحادثة

وأوروبا يدرس موقف الاسلام من أهل الكتاب، ومفهومي دار السلام ودار الحرب الذي يقول عنه أنه لا يوجد في القرآن والسنة، بل وضعه العلماء لاحقاً بعد ظهور دولة اسلامية شاسعة الأطراف ك مفهوم قانوني (شرعي) لتحديد العلاقة بين الأراضي التابعة للخلافة الاسلامية وتلك الواقعة خارجها، ثم ظهر مصطلح ثالث وسطه هو دار الصلح أو دار العهد كانعكاس للضعف التي دب في الامبراطورية لاحقاً.

ولا يعتقد روشتوفاني أن حرب الخليج الثانية هي حرب

بين الحضارات كما يرى منتقدتوتن، فهي لم تكن مواجهة بين الاسلام والغرب لعوامل معرفية، ويشير إلى أن الخطاب الصدامي كان مزجياً من مختلف العنصر، ومنها الاسلامية. لكن لسي الخطاب الذي استعمله ولا التبريرات التي ساقها لاحتلال الكويت هو سبب ما لسناه من الشعبية التي تمتع بها بين العرب البسطاء والمسلمين على العموم اثناء وبعد الحرب، بل مصدرها ببساطة العمل الذي قام به فحسب. لذلك علينا أن ندرس التأثيرات الجانبية لهذه الحرب على الوعي، وذلك لتفسير مثل هذه الظواهر.

يدرس روشتوفاني الاصولية باستفاضة، ويقول عنها انها أكثر اشكال إعادة احياء التقاليد retraditionalisation طرفاً ورايكيالية، جوهرها هو رفض الحداثة لكن ليس التحديث. بذلك هي ليست عودة إلى الماضي كما يحلو للصحافة الغربية إن تصفها، بل ظاهرة معاصرة يامتياز بها رد الفعل على التأثيرات الخارجية (وحياناً الداخلية). ورغم الصورة التي يقدها الاعلام الغربي اليوم، فالاصولية هي ظاهرة لا يستأثر بالاسلام وحده، إنما تشمل المصالحح الدرجة الأولى ارتباطاً بالاصولية المسيحية، ونجد اليوم كل أنواع الاصوليات أيضاً نذهب على علم سطح هذا الكوكب، من الهند حتى اميركا اللاتينية. ومن الصعب إعطاء تحديد للحل للمفهوم، لكنه يقتسم تعريفاً يقول: «عندما تعلن مجموعة من البشر منظومة عقائد أو مقولات أو مذهب ما أنها الحقيقية المطلقة وفي نفس الوقت نصر على بناء السياسة الحقيقية على أساسها، فإن ذلك هو الاصولية»، أو هي بشكل أعم «عودة الدين القسرية إلى السياسة». وبعد أن يدرس تجرسة الحركات الاسلامية في مصر ينتقل إلى موضوع حساس هو العلاقة بين العنف والإرهاب، وعن التصارع الشديدي في الآراء، بهذا الصدد، يلخص روشتوفاني في وجود اتفاق بين جميع الباحثين في أن

الأراه يرتبط باهداف سياسية رغم أنه يصنف إلى أرباب ديني أو عرقى أو ارباب دولة أو عينيي أو يساري. وتوتويجاً لهذا الفصل يبتسأل روشتوفاني: بل جمل «تهديد اسلامي»؟ فيقول: «يمكننا الاجابة باختصار شديد عن السؤال اعلاه بالنفي، فالاسلام لا يهدد الحضارة الغربية لعدم أسباب، لا يوجد اسلام موحد، فالاسلام يتمايز وفقاً لتكتل وجهات النظر بشكل كبير. الاسلام السياسي أي الاصولية الاسلامية ذاتها متمايزة، وحصول تحول «معادي للغرب، موحد وشمولي أمر غير واقعي، وحتى لو حصل ذلك... فالعاملان الغربي والاسلامي ليسا من ذات الوزن، لكنه يستمر فيقول إن «الاسلام السياسي أو جزءاً منه والجماعات المسلحة المتطرفة التي تتحرك باسم الاسلام يمكن أن تشكل خطراً وتهديداً أمنياً بالتاكيد... ويمكن أن تشكل الهجرة من أوروبا... خطراً أمنياً، بالطبع هنا أيضاً لا يأتي الخطر من السكان المسلمين، بل يتواجد بينهم من يمكن أن يعتبر متطرفاً أو ارباب الفكر المتطرفة والرايكيالية أو تجاه الأعمال المتطرفة أو يتعاون مع الجماعات المتطرفة».

لكن العبرة الاساسية التي يسوقها لنا هذا الكتاب القيم، هي ما يلي: «على الغرب أن يعي أن الحضارة الغربية هي ليست الحضارة، بل واحدة من الحضارات، وأن جذور القيم والمعايير الغربية تعود إلى هذه الحضارة، ويمكن أن تفسر هذه في الاماكن الأخرى بشكل مختلف تماماً». ولعل هذا التشخيص يعطينا مفتاح الحل للمشكلتة العلاقة بين أوروبا والاسلام، على الأقل في ما يتعلق بمسؤولية أوروبا.

وفي الفصل الأخير يحلل المؤلف الترابط بين الاسلام والسياسة والتحديث من خلال دراسة تجارب إيران والمملكة العربية السعودية وتركيا. وعن الفرق والعلاقة يقول: يمكن اعتبار حالة العربية السعودية نموذجاً سبب الخلاف المتبين بين الاسلام والسياسة – في نقاط جوهرية تختلف عن حالة ايران. ففي إيران قام الاسلام الرايكيالي الثوري بتغيير المراق القائم مع الملكية المطلقة، بنجاح، عن طريق ثورة. وعلى العموم يتناول المؤلف في المتن تجارب الكثير من الحركات الاسلامية، مثل جبهة الإنقاذ الجزائرية وحركة الأحران المسلمين والحركات الشعبية العراقية مثل حزب العروة والجبهة القومية في السودان وحساس وحزب اله وحزب الرفاه في تركيا والجماعة الاسلامية التي أسسها الرمودي في الهند وغيرها. ولا يتطرق إلى الأحداث فقط بل يقوم بتحليلها وتفسيرها ويحاول العثور على العلاقات بين الأشياء، والأفكار بلغة واضحة غير معقدة، مما يزيد من قيمة هذا الكتاب بالنسبة للباحث والفارئ. إن مجلة تميز يتناول أدق تفاصيل تاريخ وحاضر الاسلام والدول العربية والاسلامية تحليل موضوعي نادر.

نائب صالح

الحياة

تيارات

CURRENTS

منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسس أول لجنة للسلام بين إسرائيل وفلسطين. ففي ٤ سبتمبر (سبتمبر) ١٩٩٧ قُلت ابنتها سمادار بيلى في عملية نفذها انتحاريون فلسطينيون في شارع بن يهودا في قلب القدس. كانت في زهرة العمر. وكل أم، فإن ألم نوبت الكنعان كان لا يطاق، ولكن بدلاً من أن تصرخ بلها، فقد صرخت بغضبها، وهذا في حضور بنيامين نتانياهو نفسه في حفل تأبينها. فقد كان نتانياهو، قبل أن يصير رئيساً للوزراء، من زملائها في المدرسة الثانوية. وإمام الصحافة وعسائت التلفزيون لم تتردد في أن تصرخ في وجهه بغضبها. حياخته مسؤولة موت ابنتها، بالحرف الواحد قالت: «إن إسرائيل تربي الإرهابيين، وموت ابنتي هو النتيجة المباشرة للإلال اللاحق بالفلسطينيين. فنحن الذين اخترعنا الانتحاريين، وهم يقتلون أنفسهم لأننا جعلنا حياتهم عديمة القيمة في نظر أنفسهم».

مؤلفة «قصة نعت» اخقارت هي الأخرى أن تجهر بيهوديتها لكي تصرخ بغضبها. فما دامت «يهودية»، فمن حقها إذا ن تستخدم سلاح الكلمة لطلب بمنع إسرائيل من أن تكون وصمة عار في جبين اليهود، فإسرائيل هي اليوم الدولة الأكثر قتلاً للأطفال في العالم. فموجب تقرير منظمة العفو الدولية، فإن أكثر الانتفاضة الثانية إلى نهاية عام ٢٠٠٢، ٤٠٠ طفل قُتلوا في إسرائيل منذ اندلاع الانتفاضة الثانية إلى نهاية عام ٢٠٠٢. ثلاثمئة وثلاثون طفلاً فلسطينياً قُتلوا برصاص الجنود الإسرائيليين، وتماتون طفلاً إسرائيلياً قُتلوا في عمليات نفذها الانتحاريون الفلسطينيون. وهذه المأساة الدائمة للأطفال هي سبب اضافي في الأسباب التي حصلت مؤلفة «قصة نعت» – وهي أم لطفلين – على أن تعاد اكتشاف نعتها كيهودية. ففي الداخل اليهودي حركة ليبرية أكثر في أن تقول «لا» لسياسة إسرائيل، ولا لوجود، قاتل، هو شارون على رأس الفريق الذي يدير اليوم سياسة إسرائيل. وقصة نعت، هي في الواقع قصة هذه الال.

جورج طرابيشي

منظمة «القاعدة» بوصفها وجهاً آخر للحادثة

لقد هاجمت «القاعدة» اهدافاً غربية، بيد ان هجومها لم يستهدف الحداثة بقدر ما استهدف النظم الديمقراطية الليبرالية، خاصة بعد نهاية الحرب الباردة وإحقةاد دعاء هذه النظم بإنهاء الصرب عن انتصار حاسم لمصلحتهم. وهذا ما يبين بأن تحدي «القاعدة» اللاحق لهذه النظم، ليس الأول من نوعه، أو الاخطر. فقد سبقها إلى ذلك كل من النظم الشيوعية والغاشية في أوروبا. وتحصدي هذه النظم إنما سكان بالتوافق مع الحداثة، وإن على الوجه المتطرف منها. طالما انها (أي الشيوعية أو الغاشية) تأخذ بدعوى العلم القادر على الإجابة بأسرار الوجود الإنساني وبالقوانين والأشكال التي تحكم مقوماتها البيولوجية والإجتماعية، وتعمل، من ثم على التقفية، من حيث هي التطبيق العملي للعلم، في إعادة صوغ الإنسان والمجتمع. وعلى غرار هاتين الحركتين فإن «القاعدة»، وسواها من الحركات الدينية المتطرفة، سلم بدور التقنية في إنشاء علم جديد، حتى وإن رنكت إلى بلاغة سلفية متقادة.

غراي وإن صنف «القاعدة» الوجه المتطرف للحادثة، وأسوة بالشيوعية والنازية، إلا أنه لا يسوق هذا التعريف من موقع الدفاع عن الوجه المعتدل للحداثة، شأن النظم الديمقراطية الليبرالية. وعنده فإن هذه النظم ليست بمعندة أيضاً، خاصة بعد نهاية الحرب الباردة وإعلانها منتصرة في معركة الأيديولوجيات الكبرى. وما محاولة عولة السياسة الليبرالية، وعلى خطى عولة السق الاقتصادية الحرة ألا محاولة أخرى للتجسيد للحداثة. فسيادة العولة الاقتصادية، ومن بعدها السياسية، إنما هو إنتصار لاتباع «نمو ليبرالية، أي لاصوليي السوق الحرة ممن يدعون إلى تقليص سلطان الدولة امام ما يسمى باليد الخفية للسوق. وهؤلاء ما هم في نهاية المطاف سوى مسلاة الوضعية العلمية التي قال بها أوغست كومت

وسان سجون، ومن بعدها «الوضعية العلمية» خاصة حلقة ثانية فيها. منها، فإن نزاع أتباع هذه الأخيرة بان الإقتصاد علم يمكن من خلال الإلتزام بشروطه إرساء نظام إقتصادي كوني متحاش، فإن دعاء الوضعية بنسروا بان الإلتزام بالمعايير العلمية كفعل بان يخضع البشرية من أسباب الضرر ودعوى الصروب، بل وإيضاً إنشاء مجتمعات بشرية متحاشسة القيم والمعايير الأخلاقية والسياسية. ومنظمة «القاعدة» ومخيلها، تتوافق أول مع الاء التي تسعى «نمو ليبرالية، أي لاصوليي» مع مستوى العالم أجمع، فستستخدم سبل الإصتالات التقنية التي تتجاوز حدود وسلطان الدول. وثانيساً، تتصاق على زمعها الفكرية، من حيث أن سعيها إلى إنشاء شبكة أعضاء واتباع من مختلف أنحاء العالم، وعلى مدى القارات الخمس، إنما تأسيس عملي لجمتع كوني متجانس الهوية والقيم.

إن إنشاء غراي البرهان فقط على ان «القاعدة» لهي من تجسيدات الطور اللاحق للحداثة، وإنما أيضاً، ومن خلال هذا البرهان بالذات، إدانة الحداثة والعولة معاً، مكرراً بذلك آراء سجالية العلمية كفعل بان يخضع البشرية من أسباب الضرر ودعوى الصروب، بل وإيضاً إنشاء مجتمعات بشرية متحاشسة القيم والمعايير الأخلاقية والسياسية. ومنظمة «القاعدة» ومخيلها، تتوافق أول مع الاء التي تسعى «نمو ليبرالية، أي لاصوليي» مع مستوى العالم أجمع، فستستخدم سبل الإصتالات التقنية التي تتجاوز حدود وسلطان الدول. وثانيساً، تتصاق على زمعها الفكرية، من حيث أن سعيها إلى إنشاء شبكة أعضاء واتباع من مختلف أنحاء العالم، وعلى مدى القارات الخمس، إنما تأسيس عملي لجمتع كوني متجانس الهوية والقيم.

المنشكلة الوحيدة في إدانة كهذه ان الكاتب لا يجد مناصاً من إتباع سبل العقلة الحديثة لكي يقدم حجة مقنعة. ففي هذا الكتاب، كما في كتابيه السابقين، تجده رد الحوادث إلى أفكار وفلسفات لفراد وجماعات، وبما يدل على الوجود البشري، وتاماً كما تزعم الحداثة، لهو رهن إرادة الإنسان، أنه، بهذا المعنى، أشبه باتباع «القاعدة» وغيرهم من المتطرفين الذين يزعمون بانهم يحاربون الحداثة. في حين أنهم في حقيقة الامر صانعونها ومن اعراضها.

سمير اليوسف

فإنهما كليهما لا تعوان أن تكونا وجهين لمرض واحد، هو مرض التمييز العنصري الذي لم يزال يلتصق بجلد الحضارة الغربية، منذ اختراع أسطورة الرجل الأبيض، التصاق سرطان خبيث غير قابل للاستئصال.

وبعد ليلى شهيد الفلسطينية، وأنيتا فرانكوس الفرنسية، فإن امرأة ثالثة لعبت دورها في احضار القضية الفلسطينية إلى وعي مؤلفة «قصة نعت» هي الإسرائيلية نورت بيليد الكنعان، ابنة الجنرال مناتي بيليد الذي كان من الدعاة المبكرين للحوار مع

John Gray.
AlQaeda and what it means to be Modern.
(القاعدة وما معنى أن تكون حديثاً).
Faber, London.
2003.
145 pages.

عشية إعتداء الحادي عشر ايلول، تعجّل عدد من المعلقين الغربيين في نعت منفذي الإعتداء، والمنظمة التي أنتموا إليها، بأنهم جماعة من خارج الحضارة والحاضر، الطريف في الامر أن مثل النعت، ومجرداً من واعر الإدانة والتحقير، ليس مما يخالف تماماً تصوير زعماء منظمة «القاعدة» لأنفسهم، بإعتبارهم أعداء الحضارة الغربية وينتمون إلى عهود سابقة على الحاضر الحديث.

وهذا التوافق ما بين المعلقين الغربيين وما بين زعماء «القاعدة»، في تعريف المنظمة المذكورة إنما هو صدى إتفاق أرسخ وأبعد زمنياً ما بين الكثير من العلمانيين من جهة، وجل الاصوليين، من جهة اخرى، بان الحركات الدينية الاصولية، ومن حيث انها تسعى إلى احياء المثل السالفة في إدارة الدولة والجمتع، إنما تستمد مقوماتها النظرية وطاقتها العملية من مصادر سلفية سابقة على العلمانية والحداثة.

في ان هذا التوافق تعرّض، وفي غير مناسبة واحدة، لعدد من خلال دراسات متقاربة الواقع والإهتمام، ألحق البعض منها في البرهان بأن الحركات الاصولية أقرب إلى الحداثة مما يحسب اصحابها، وبالخصوص، يستهني خصوصها من أنصار الحداثة والعلمانية. (ولعل أكفا الدراسات العربية في هذا الصدد دراسة الزميله دلال الزبزي «أوقات الظل واليقين» الصادر في بيروت عام ١٩٩٦).

وإنه على ضوء مثل هذا النقد يجادل جون غراي، الكاتب البريطاني وأستاذ الفكر الأوروبي في «معهد لندن للإقتصاد»، بان ما ما أقدم عليه أتباع «الساعدة»، من هجوم على نيويورك وواشنطن، ليس مما يتناقض مع الأفعال التي تجربها دعوى وسبل الحداثة، خاصة في طور العولة الاقتصادية والسياسية منها. فالقاعدة، منظمة حديثة، بل انها أشد حداثة من جل المنظمات الإرهابية التي عرفها القرن العشرين، خاصة ممن دانت بفلسفة علمانية قومية أو يسارية)، وليس فقط لأن «القاعدة» اقبلت على إستخدام أسلحت سبل الإصتالات التقنية، ولكن أيضاً لأشكال التنظيم التي إتبعتها، وما تفصّح عنه من تصورات أيديولوجية مضمرة أو معلنة.

فهي من حيث إتباعها سبل الإصتالات والتتنظيم الحديثة لم يقصّر الإنشاءء فيها، أو في تنظيماتها، على أعضاء من دولة واحدة أو من منطقة معينها، وإنما أفلحت في تشكيل شبكة عابرة للحدود وقادرة على تجنيد اعضاء جدد إنما توافرت امكانية التجنيد، وما جعلها أشبه بمنظمة أممية فعلاً وليس قولاً فقط. اما توسلها الإرهاب وسبيلة في سبيل تحقيق مآربها السياسية، فإنها لم تختلف كثيراً عن الحركات الثورية والوضوية التي إرتابت ضرورة تحدي إحتكار الدولة لحق استخدام العنف.

الأدبي من ذلك ان المواضيع التي إختارتها هدفا لهجومها بشي معرفة لكل من مواقع القوة ونقاط الضعف، في النظام العالمي الجديد، وبوما يجعلها وربة للحركات الإرهابية السابدة، وفي الوقت نفسه متجاوزة لوسائلها ولحدود أدائها. فأختارها برجي «مركز التجارة العالمي» هدفاً يدل على انها تعرف جيداً أين يكمن مصدر القوة والثروة في عصر العولة الاقتصادية. اما لجنوها على هجوم يكون بمثابة موضوع مشهد بضري صادم فإنه يتم عن وعي بما يظفر بإهتمام الجمهور، التنام في عصر المتلفزة الفضائية المتجاوزة لسلطان الدولة وقيدها.

في ذلك، وعلى رغم أن زعماء «القاعدة» وإمتثالهم من زعماء الحركات الاصولية الاسلامية، يدعون الأخذ بوصايا وتعاليم سلفية، إلا أن المناهج التي يستخدمونها في تأويل هذه الوصايا والتعاليم ليست بعيد عن مناهج التأويل والتحليل الحديثة. وتكفي الإشارة إلى ان ابن لادن وغيره من زعماء الحركات الاصولية إنما تلقوا بالأصل علوماً غربية وأن البعض منهم تمرس طويلاً في أحزاب علمانية، يسارية وقومية، قبل انضوائهم في حركات دينية اصولية.



سيرة كاتيبه أو ثلاثة

الإسلام على أعتاب القرن الحادي والعشرين

منذ سنوات صارت دراسات الاسلام والعالم العربي موضوعاً مألوفاً في أوروبا الشرقية. بل ربما كان كتاب جولد روشتوفاني «الاسلام على أعتاب القرن الحادي والعشرين»، باللغة الجرية (الهنغارية) والذي صدر في بودابست، عام ١٩٩٨، في ٤٩٨ صفحة، أحد اوسع واكمل الكتب في هذا المجال. وهذه الشمولية التي حملها الكتاب هي بيرر ما يبرر تناوله له هنا بشي، من التفضيل.

لقد وضع روشتوفاني، وهو رئيس قسم العلاقات الدولية في جامعة بودابست للإقتصاد، كتابه في مرحلة يمكن اعتبارها انتقالية. فهي شهدت إعادة تقييم كثير من الحركات الاسلامية لشناطها في السبعينات والثمانينات من جهة، من جهة ثانية شهدت تعاطف النقاش في أوروبا وأميركا حول طبيعة العلاقة بين الاسلام والغرب على العموم، ذاك النقاش الذي ساهم لاحقاً في تعزيز الصورة النمطية الجاهزة في أذهان الغرب بعد أحداث 9/١١.

وهذا النقاش بالذات هو محور الكتاب، وحتى يضع روشتوفاني الاسس السليمة للنقاش يتناول في الفصول الأولى الخلفيات التاريخية والحضارية وجذور المسألة. لذلك يبدأ بمناقشة أصول الاسلام فيتناول مواضيع نور الأديان في المجتمعات التقليدية والمعاصرة، ومسؤولية الامان، وظهور كنظام، والشريعة والفلسفة والروحانيات، والاسلام، والعقل، وأخيراً الاسلام كنظام متغير الأبعاد. من يتطرق إلى جانب جوهره هو الاسلام والتحديث، ليدرس الفكر الاسلامي مع تركيز على الفترة المنقضية منذ القرن الثامن عشر والنقاش حول الخبار بين الاصلاحية والثورية. ويعتقد المؤلف هنا – باضد من النظرة السالفة القائلة بجمود الاسلام ومقاومته للتغيير – ان تاريخ الاسلام هو عبارة عن سلسلة من الحركات الاصلاحية، ويتسبم قول ارنتست غلّز «الاسلام ذاته عبارة عن اصلاح مستمر». أو ثورة مستمرة. وبخض الحركات الاصلاحية (الافغاني وعنده) ثم الأوجية المختلفة التي حاولت الحركات الاسلامية تقديمها في مواجهة تحديات العصر: الاصولية والتحديث، الاسلام والقومية وكذلك الحركات والاشتراكية. ويتحدث عن نقطة جوهرية هي الوحدة الاسلامية: هل هي وهم أم حقيقة؟ فيقول بهذا الصدد «رغم عدم وجود فوارق جوهرية عند النظر في الأفكار الاساسية المعقدة، فالاسلام اليوم يتكون من العديد من التيارات والاتجاهات التي تجعل من السهل التمسك معه كوحدة متكاملة. وأحد أكبر أخطاء التحليلات الغربية اليوم هي أنها تتعامل مع الاسلام كوحدة متساكة، بينما هو في الواقع ليس كذلك». فالاختلاف بين الاتجاهات والتيارات الاسلامية لا يمكن في الجوانب الاساسية بل في الموقف من السياسة نفسها والمجتمع وعلاقة هذه بالاسلام، أي أن كل التيارات تستند إلى نفس المصطلح لكنها تختلف في تفسيراتها وتطبيقات هذه التفسيرات.

وقد خصص المؤلف الفصل الثالث لدراسة النظام الاسلامي، حيث يبحث في علاقة الاسلام بالسياسة وبالدولة، وطبيعة المجتمع الاسلامي الذي يراد إنشاؤه، علاوة على الموقف من الاقتصاد. ويعتقد أن الكثير من الباحثين الغربيين يميلون هذا الجانب لانهم ببساطة لا يتفقون مع مصطلح مثل وجود اقتصاد كاثوليكي أو بوذي مثلاً. كذلك لا يمكن رؤية شي، من ذلك النظام في الواقع العملي، في أي من البلدان المسلمة لدرجة ما يظهر طيبة الفقهاء، وعلماء الدين بعد ان شكل الدين والسلطة اللامتناهية وحدة في زمن الخلفاء الراشدين. وتغير الامر مجدداً بقيام الدولة العباسية حيث اقترب الدين من السياسة وجرى تأمين أحد المطالب الاساسية للشعيه وهو حصر الخلافة بيد ال البيت.

ويسهب في دراسة الترابط الربط بالعلاقة بين الحاكم والرعية، والخليفة والمؤمنين ووجوب طاعة ولي الامر لا إن لم يكن عادلاً. وقد اهتمت الحركات الاصولية بموضوع الدولة المنظمة على أساس الاسلام وجرى تطوير ذلك بشكل نظريات على يد الكثير من المفكرين، أبرزهم ثلاثة من أهم منظري الدولة الاسلامية وهم الخميني (١٩٨٩-١٩٠٢) وسيد قطب